(٤)

هالات الخطر على سيناء

عندما وقعت تفجيرات طابا وشرم الشيخ ثم تزامنت تفجيرات دهب مع الحوادث الطائفية في الأسكندرية استدعت ذاكرتي في قلق شديد سلسلة المقالات التي نشرها أستاذنا المرحوم د. حامد ربيع في مجلة الأهرام الإقتصادي في أوائل الثمانينات وعقب اغتيال الرئيس السادات وعنوانها" مؤامرة على عقل مصر" وعلقت يومها بأن اتفاق السلام كان مؤامرة على عقل الامة وقلبها وهي مصر وقد صدق ذلك تماماً.

والخطير في الأمر أن مقالات د. حامد ربيع رصدت بالوثائق مؤامرة لتقسيم مصر واستلاب سيناء التي لم يكن الحبر الذي وقعت به اتفاقية السلام قد جف. فالمؤامرة على الإنسان والأرض وتمزيق الوطن، وتجزئته واستلابه. وعندما بدأت إدارة بوش تتحدث عن مخطط لتفكيك العلاقات العربية - العربية بدءاً بمصر ثم بتفتيت العراق والسودان اقترب الخطر وارتفعت وتيرة القلق. وبعد تفجيرات طابا وشرم الشيخ ودهب وجب التوقف أمام ثلاثة ظواهر خطيرة:

الأولى ضعف الدولة المصرية وتآكل هيبتها وظهور أعراض تفسخ في قيم وروابط المجتمع المصري مع انغلاق آفاق الأمل والتلاعب بمصير الوطن بعناوين زائفة مع استمرار عجز الدولة عن القيام بمهامها، وآخرها وضوح المخطط الأمريكي الصهيوني في مصر بالتوازي مع استمرار تجسده في ابتلاع فلسطين.

منذ أن تابعت بذور المشروع الصهيوني و موقع سيناء منه وأهميتها الأمنية والاستراتيجية والاقتصادية لإسرائيل أدركت أن إسرائيل تضع عينها على سيناء بالغزو العسكري عام ١٩٥٦، ١٩٦٧.

وفي الحالتين كان الدفاع الشرعي عن النفس هو الذريعة القانونية للغزو، واستخدمت إسرائيل سيناء كأضعف حلقة ضد مصر وحصلت من مصر على مخطط إسرائيل الذي

شرحه شارون في مذكراته التي قدمتها عام٢٠٠٣ وهو نفسه بطل المواجهات مع مصر طوال أكثر من ٥٠ عاماً منذ حصار الجيش المصري في الفالوجة.

ثم كان شارون هو بطل أحداث فبراير ١٩٥٥ في غزة والعدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ واحتلال سيناء. وعندما أُعيدت سيناء ١٩٥٦ حصلت إسرائيل على حرية الملاحة في خليج العقبة. أما احتلال سيناء عام ١٩٦٧ فكان يهدف الى الحصول من مصر على ثمن باهظ وهو تخلي مصر عن المشروع العربي، وأن ينتهي دورها في المنطقة، وأن تتخلى مصر عن المطالبة بتسوية القضية الفلسطينية على أساس زوال إسرائيل.

وفي اتفاق السلام وافقت مصر على طمأنة إسرائيل بنزع سلاح سيناء كما حصلت إسرائيل على اعتراف مصر وهي أكبر الدول العربية وتصدي مصر للدول العربية الأُخرى، وفرض الصلح مع إسرائيل عليه مما كسر العزلة الدولية على إسرائيل.

وأدركت إسرائيل أن مصرلم تعد طرفاً في ميزان القوى والصراع ومن خلفها الدول العربية، ففتح ذلك المشروع الصهيوني على مصراعيه.

هكذا دفعت مصر مقابل سيناء ثمناً باهظاً، ومع ذلك فإن إسرائيل فيما يبدو تخطط للاستيلاء على سيناء وربما تخطط لتقسيم مصر.

ولعل إسرائيل ترى أن مصر بهذا العدد الكبير والمساحة الواسعة تعتبر خطراً كبيراً عليها.

ولعل وقوع التفجيرات في مناسبات وطنية تتصل بإسرائيل، ومعرفة إسرائيل المسبقة بهذه التفجيرات، والتي تريد أن تدفع إلى الاعتقاد بأن سيناء قد عادت مرة أُخرى خطراً أمنياً على إسرائيل وأن المنظمات الإرهابية المختلفة تتجمع في سيناء وتقوم بتهريب الأسلحة، وأن ذلك كله يمثل خطراً شديداً على إسرائيل.

وقد أكدت التعليقات الإسرائيلية أن التفجيرات لم تفاجيء إسرائيل وأجهزتها الأمنية، وأن مصر فشلت، وأن هذا الفشل جعلها تقع الآن في بؤرة الإستهداف بعد كل هذه التفجيرات.

ويقول المعلق العسكري لصحيفة معاريف الإسرائيلية أن سبب الفشل المصري هو انصراف الأمن في مصر للدفاع عن القاهرة ونظام الحكم دون أن تدرك المخابرات المصرية هذا التحول الخطير في خريطة سيناء الإرهابية.

ثم أوضحت التعليقات الإسرائيلية المحور الثاني في مخططها ضد سيناء وهو اللعب بورقة البدو. وقد أشار زائيف شيف في صحيفة هآرتس أن مصر بذلت جهوداً جبارة لإيجاد فرص عمل لبدو سيناء للحيلولة دون استمرار نجاح تنظيم القاعدة في تجنيد خلايا إرهابية بين صفوفهم.

ولا شك أن إسرائيل تجيد استخدام هذه الورقة وتعمل لها حساباً كبيراً منذ أن كانت تحتل سيناء لمدة ١٢ عاماً، كما يسعدها كثيراً أن تتعامل السلطات المصرية بهذه القسوة مع بدو سيناء وتتهمهم في وطنيتهم. أما المحور الثالث فهو التأكيد على قضية السلاح في سيناء من مصادر متعددة وخاصة إيران ولبنان وتهريب السلاح إلى غزة وإسرائيل والإشارة إلى ظهور مجتمعات بدوية متطرفة في سيناء.

يضاف إلى ما تقدم أن السلطات المصرية لم تتوصل إلى خط يساعد على الكشف عن مرتكبي هذه التفجيرات. ولذلك فإن إسرائيل تخطط هذه المرة عن طريق اظهار مصر عاجزة عن مقاومة الإرهاب في سيناء، وتفاقم خطر الإرهاب على إسرائيل، مما يفتح الباب أمام الاستيلاء على سيناء بهذه الحجة، خاصة وأنها حجة مقبولة لدى الولايات المتحدة، وأن تكرار عجز مصر عن وقف الإرهاب لا بد أن يكون له نهاية.

تلك هي هالات الخطر التي تمر فوق سيناء والتي نحذر من خطورتها على سيناء مما يتطلب من مصر وعياً حقيقياً بهذه القضية الخطيرة. وقد يكون تعمير سيناء هو أكثر الطرق فاعلية لتحصينها ضد الأطماع الإسرائيلية، كما أن اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل تفرض التزامات على إسرائيل في مجال الأمن في سيناء وتمنع كلا من الدولتين من الإساءة إلى أمن الدولة الأخرى.

وفي ضوء هذه المخاطر قد يكون من المفيد التقيد بأحكام هذه الاتفاقية، دون أن تكون أحداث سيناء ذريعة لمخطط إسرائيلي لم تعرف قسماته النهائية حتى الأن وإن كانت كل النذر قد أصبحت تبعث على القلق من هذه المخططات.